التعليم عن بعد بين الحاجة والضرورة

م.عائدة عبد الكريم صالح
وحدة التعليم المستمر

شهد العصر الحالي تقدماً بارزاً وثورة تكنولوجية وتطورا هائلا في وسائل الاتصال والمواصلات وقد شملت جوانب الحياة كافة ونال مجال التعليم نصيبه من مخرجاتهذه الثورة، وقد استثمر التعليم هذا التقدم بطريقة متوازنه في وسائله.

فظهرت الاستفادة منها في المدارس والجامعات، والتعليم الالكتروني اوالتعليم عن بعد يشار به الى تلك العملية التي يكون فيها الطالب مفصولاً او بعيداً بمسافة جغرافية يتم تجاوزها بأستخدام وسائل الاتصال الحديثة وهو نظام تعليمي غير تقليدي يمكن الدارس من التحصيل العلمي والاستفادة من العملية التعليمية بجوانبها كافة دون التواجد المباشر بموقع الدراسة ويمكن المحاضرين من ايصال معلوماته ومناقشته للمتلقين دون الانتقال اليهم كما انه يسمح بأختيار برنامجه التعليمي بما يتفق مع ظروف عمله والتدريب المناسب والمتاح لديه دون الحاجة الى التخلي عن العمل او الارتباطات الاجتماعية..

كانت المؤسسات التعليمية في مقدمة القطاعات الأكثر تأثرا بجائحة "كوفيد 19"، وفي جميع دول العالم بلا استثناء، حيث أدت الجائحة إلى انقطاع أكثر من 1.6 مليار طفل وشاب عن التعليم، ما دفع دول العالم إلى البحث عن أساليب بديلة للحيلولة دون توقف العملية التعليمية. وجاء في هذا السياق العديد من المبادرات لتحويل عدد من التطبيقات الذكية إلى منصات تعليمية عن بعد. وخلال فترة وجيزة تبدلت ملامح التعليم التقليدي الذي لم يعد قادراً على الوفاء بمتطلبات منظومة التعليم، واستيعاب الأعداد الكبيرة من المتعلمين في جميع المراحل، والبحث عن صيغ جديدة للتعلم. وقد ساهم التطور التكنولوجي الهائل في تحقيق هذا التحول، والذي خلق بدوره واقعا جديدا في إعادة التفكير في منظومة التعليم من حيث فلسفته وأهدافه ومناهجه ووسائله، ودراسة كل السيناريوهات المستقبلية والمتوقعة في مرحلة التعايش مع تلك الجائحة وما بعدها.

ويمكن اعتبار التعليم الالكتروني من اهم او الاهم وسائل التعليم عن بعد لكن ليس الوسيلة الوحيدة.

ان محور نجاح التعليم الالكتروني يتوقف على تطوير وانتقاء التعليم الالكتروني المناسب، حيث تلبية متطلبات التعليم كالتحديث المتواصل لمواكبة التطورات ومراعاة المعايير والضوابط في نظام التعليم

المختار ليكفل مستوى وتطوير المتعلم ويحقق الغايات التعليمية والتربوية، اذ ان تقنية المعلومات ليست هدفاً او غاية بحد ذاتها بل هي وسيلة لتوصيل المعرفة وتحقيق الاغراض المعروفة من التعليم والتربية ومنها جعل المتعلم مستعداً لمواجهة متطلبات الحياة العلمية بكل اوجهها والتي اصبحت تعتمد بشكل او بأخر على تقنية المعلومات وطبيعتها المتغيرة بسرعة

والتعليم عن بعد يشار به إلى تلك العملية التي يكون فيها الطالب مفصولاً أو بعيداً عن الأستاذ والتعليم الالكتروني يكاد يكون سهلاً ممتنعاً، فعلى الرغم من توفر الأدوات الخاصة به، إلا أن أصعب ما فيه هو البداية والانطلاقة، وكلما كانت البداية واضحة المعالم ثابتة بمسافة جغرافية يتم عادةً سدها وتجاوزها بأستخدام أساليب الاتصال الحديثة وهو نظام تعليمي غير تقليدي يمكن الدارس من التحصيل العلمي والاستفادة من العملية التعليمية بجوانبها كافة دون التواجد المباشر بموقع الدراسة ويمكن المعلم من إيصال معلوماته ومناقشته للمتلقين دون الانتقال إليهم كما انه يسمح باختيار برنامجه التعليمي بما يتفق مع ظروف عمله والتدريب المناسب والمتاح لديه للتعليم دون الحاجة إلى التخلي عن العمل
التعليم الإلكتروني صار حاجة فردية و إنسانية تتعلق بالفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، إذ يُساهم وبشكل فعاَّل جدا في تطوره ونموه وتحقيق أهدافه ، وأصبح قاعدة ومعيار أساسي من معايير قوة المجتمع، ورفاهيته وتماسكه، ومن المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها عمليات التطور التربوي والتعليمي.

يُعد التعليم عن بعد أو التعليم الإلكتروني شكلٌ من أشكال التعليم الأكثر قدرة على تربية وتعليم معظم شرائح المجتمع ولا تقتصر على فئة محددة واكتسابهم المعارف والاتجاهات والمهارات ذات الصلة الوثيقة بحاجاتهم.
كما ان وجود تحدي يواجه مجتمعنا بصورة عامة والتعليم العالي بصورة خاصة ينحصر في دخول العالم عصر المعلوماتية والانفجار المعرفي الهائل، وهذا التحدي يتطلب منا بذل جهود استثنائية لمواكبة هذا التطور الهائل في تقنية المعلومات والاتصالات وتوظيفهما لتجسير الهوة بين مؤسساتنا التعليمية والاكاديمية والجامعات العالمية الرصينة وبين مجتمعنا والمجتمعات المتقدمة..

قد أظهرت جائحة "كوفيد 19" حاجتنا إلى نظام تعليمي جديد يوجه إلى المستقبل، ويكون قادرا على مواجهة التحديات، والتي من بينها الكوارث والأزمات. هذا النظام يقوم على افتراضات أساسية، أهمها ما يلي:

أ- التوجه نحو زيادة الاستثمارات في تنمية وتطوير البنية التحتية والتكنولوجية للمؤسسات التعليمية، خاصة في المناطق الريفية والفقيرة، مما يساعد على تدفق المعلومات بين شبكات التعلم بالقدر الكافي.

ب- إعادة تعريف دور المعلم.

ج- تجاوز مفهوم إتاحة التعليم إلى مفهوم الجودة المقرون بتعديل وتطوير المناهج، وعقد دورات تدريبية لأعضاء هيئة التدريس بالمدارس والجامعات لإدارة المناهج الدراسية وفقا للصيغة التي سوف تتبناها كل دولة سواء كان تعليم عن بعد، أو تعليم مدمج.

د- تطوير المهارات العلمية، وتعزيز الإبداع، والعمل التعاوني، والقدرة على التواصل والعمل في مجموعات والانفتاح على العالم والثقافات الأخرى.

ختاماً، واستشرافاً للمستقبل، لقد بدا واضحاً أن التعليم الرقمي أضحى خياراً استراتيجياً لكل دولة تقدر بوعي ما للقطاع التربوي من أهمية بالغة في ازدهار المجتمع وتطوره التنموي، وبديلًا لا يمكن الاستغناء عنه ليس في الظروف الاستثنائية، كما هو الآن لمواجهة تداعيات جائحة "كوفيد 19"، لكن أيضاً لبناء جيل جديد قادر على الاستفادة من معطيات الثورة الصناعية الرابعة، ويمتلك من المعارف والمهارات التي تمكنه من الانخراط في وظائف الغد. وفى النهاية نرى أن التعليم عن بعد يمكن أن يحقق أهدافه إذا توافرت الشروط لإنجاحه حتى نتمكن من صياغة سياسات علمية مناسبة للتعامل مع هذا المستقبل.